

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما - "الخالة بمنزلة الأم"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمما أورده المصنف -رحمه الله- في باب بر الوالدين وصلة الأرحام حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: ((الخالة بمنزلة الأم))^(١). رواه الترمذى وقال: حديث صحيح.

((الخالة بمنزلة الأم)) قاله النبي صلى الله عليه وسلم - في عمرة القضاء، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم - حينما قصد مكة في السنة السادسة من الهجرة وصده المشركون عنها، ووقع ما وقع من الصلح المعروف، صلح الحديبية، وكان مما حصل في ذلك الصلح والاتفاق: أن النبي صلى الله عليه وسلم - يرجع ومن معه، ثم يأتي من العام الذي بعده ليتعمر، فلما جاء صلی الله عليه وسلم - تبعته ابنة حمزة رضي الله تعالى عنه، فأخذها علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه - ودفعها إلى زوجته فاطمة رضي الله تعالى عنها -، وقال: دونك ابنة عمك، فتنازع فيها علي رضي الله تعالى عنه - وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلی الله عليه وسلم -، وجعفر بن أبي طالب، فالنبي صلی الله عليه وسلم - قال في هذه المناسبة: ((الخالة بمنزلة الأم)) يعني: أنه دفعها لجعفر؛ لأنها زوج خالتها، والشاهد من هذا الحديث في هذا الباب أن النبي صلی الله عليه وسلم - جعل الخالة بمنزلة الأم، والكلام في صلة الأرحام وفي بر الوالدين، وهذا يدل على أن الخالة لها منزلة قريبة من منزلة الأم تستدعي البر، والقيام بمزيد من الحق والرعاية والصلة والإحسان إليها، فهي ليست مثلاً كالعمدة، وإنما هي بمنزلة الأم، هذا هو الشاهد، والأم تعرفون ما جاء فيها من فضل، ومر في ذلك أحاديث.

ثم قال المصنف -رحمه الله-: وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، منها حديث أصحاب الغار، وقد مضى، وفيه مما يتصل بباب بر الوالدين الرجل الذي جاء ومعه غبوقه، يعني: الحليب الذي يحلب في آخر النهار، وكان لا يطعم منه أحد لا زوجة ولا ولد حتى يشرب منه أبواه، فوجدهما قد ناما، فبقي متظراً حتى الصباح، وأولاده يتضاغون من الجوع، فكان هذا سبباً لانفراج جزء من الصخرة، في الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار^(٢).

^١- أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، (١٤١/٥)، برقم: (٤٢٥١).

^٢- أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشتري شيئاً لغيره بغير إنه فرضي، (٨٠/٣)، برقم: (٢٢١٥)، ومسلم، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتسلل بصالح الأعمال، (٤/٢٠٩٩)، برقم: (٢٧٤٣).

قال: وحديث جرير وقد سبق، مضى حديث جرير الراهب حينما نادته أمه وهو يصلی فقال: ربِّ أمي وصلاتي، فاقبل على صلاته، فدعنته ثلاثة، فبعد ذلك دعت عليه أن لا يموت حتى يرى وجوه المؤسسات^(٣).

وقال: وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصاراً، ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه - الطويل، المشتمل على جمل كثيرة من قواعد الإسلام وآدابه، وسائلنـه بتمامه - إن شاء الله تعالى - في باب الرجاء، قال فيه: دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة، يعني: في أول النبوة، فقلـت له: ما أنت؟ قال: ((نبي))، فقلـت: وما نبي؟ قال: ((أرسلني الله تعالى))، فقلـت: بأي شيء أرسلـك؟ قال: ((لقد أرسلـني بصلة الأرحـام، وكسرـ الأوـثـانـ، وأن يوحـدـ اللهـ لا يـشـركـ بهـ شيءـ))^(٤)، ونـكـرـ تـمـامـ الـحـدـيـثـ.

والشاهد في هذا الحديث ((أرسلـني بـصلةـ الأـرـحـامـ))، فكان ذلك أولـ ما ذـكرـ - عليهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ - فيما أرسـلهـ بـهـ رـبـهـ، فـدـلـلـ ذـكـرـ عـلـىـ أـنـ صـلـةـ الرـحـمـ مـنـ مـقـاصـدـ رسـالـتـهـ - عليهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ -، فـهـيـ لـيـسـ قـضـيـةـ سـهـلـةـ، فـمـنـ أـعـظـمـ دـلـائـلـ ذـكـرـ أـنـ هـذـاـ حـدـيـثـ مـصـرـحـ بـهـذـاـ معـنـىـ غـاـيـةـ التـصـرـيـحـ.

ولذلك أقول: نحن في هذه الأحاديث التي مضت فيما يتصل بصلة الأرحـامـ وـبـرـ الـوـالـدـينـ قـرـأـناـ ما يـقـربـ مـنـ أـرـبـعـةـ وـعـشـرـينـ حـدـيـثـ، فـيـنـبـغـيـ لـلـعـاقـلـ أـنـ يـنـظـرـ مـاـ أـثـرـتـ فـيـهـ، هلـ تـغـيـرـ بـرـهـ وـصـلـتـهـ وـإـحـسـانـهـ؟ـ، هلـ تـغـيـرـتـ بـرـامـجـنـاـ؟ـ، هلـ تـغـيـرـتـ تـعـالـمـاتـنـاـ؟ـ، هلـ تـغـيـرـتـ زـيـارـاتـنـاـ لـقـرـابـاتـنـاـ؟ـ، هلـ زـادـتـ اـتـصـالـاتـنـاـ؟ـ، هلـ تـعـاهـدـنـاـهـمـ؟ـ أوـ أـنـ الـأـمـرـ لـمـ يـتـغـيـرـ وـكـانـاـ لـمـ نـسـمـعـ شـيـئـاـ، فـهـذـهـ مـشـكـلـةـ، نـحـنـ نـسـمـعـ كـثـيرـاـ وـلـكـنـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـطـبـقـ، وـأـنـ يـنـعـكـسـ ذـكـرـ عـلـىـ وـاقـعـنـاـ وـحـيـاتـنـاـ، نـحـضـرـ فـيـ الـعـامـ نـحـوـاـ مـنـ ثـمـانـ وـأـرـبـعـينـ خـطـبـةـ ثـمـ بـعـدـ ذـكـرـ مـاـذـاـ تـؤـثـرـ فـيـنـاـ هـذـهـ الـخـطـبـ، إـضـافـةـ إـلـىـ الـدـرـوسـ وـالـمـحـاضـرـاتـ وـالـكلـمـاتـ الـتـيـ نـسـمـعـهـاـ فـيـ كـلـ يـوـمـ، فـلـيـسـ الـقـضـيـةـ لـمـجـرـدـ الـتـقـاـفـةـ، فـالـلـهـ سـائـلـنـاـ عـمـاـ نـسـمـعـ، [إـنـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـفـؤـادـ كـلـ أـوـلـئـكـ كـانـ عـنـهـ مـسـئـولاـ] [الـإـسـرـاءـ:ـ ٣٦ـ].

فـأـسـأـلـ اللـهـ -عـزـ وـجـلـ- أـنـ يـلـطـفـ بـنـاـ، وـأـنـ يـجـعـلـنـاـ وـإـيـاـكـمـ مـمـنـ يـسـتـمـعـ القـوـلـ فـيـتـبـعـ أـحـسـنـهـ، وـمـنـ دـلـائـلـ ذـكـرـ أـنـ يـظـهـرـ هـذـاـ عـلـىـ أـعـمـالـنـاـ وـجـوـارـحـنـاـ، وـتـصـرـفـاتـنـاـ جـمـيـعـاـ، هـذـاـ الـذـيـ يـسـتـمـعـ القـوـلـ فـيـتـبـعـ أـحـسـنـهـ، وـصـلـىـ اللـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ، وـآلـهـ وـصـحـبـهـ.

^٣- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلة وغيرها، (٤/١٩٧٧)، برقم: (٢٥٥٠).

^٤- أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، (١/٥٦٩)، برقم: (٨٣٢).